

الأدب المصرى

عنوان النهضة الحديثة

لحضرة الأديب الفاضل صاحب التوقيع

قرأت باهتمام وإعجاب مقالة الأديب المجدد الأستاذ على محمد البحراوى عن الأدب السورى ، المنشورة فى العدد الفائت من (العصور) الغراء . والحق يقال إن هذا المقال النقدى الذى يمتاز بالصراحة والاختلاص والتفكير المستقل قد أثار اهتماما جديا فى دوائر أدبية كثيرة — شأن ما يكتبه الأستاذ البحراوى بأسلوبه المنصف الجرىء . ولا أدل على ذلك من تناقل آرائه وترديدتها ، وبين من عنوا بتعزيزها الكاتب المعروف الأستاذ محمد لطفى جمعة المحامى حيث ذكر فى (البلاغ الأسبوعى) مانصه حرفيا : « مصر فخورة بأدبها الحديث ، والأدب كلمة جامعة شاملة ، والأدب المصرى يكاد يكون الأدب العربى ، ومصر أصبحت وارثة للأمم العربية وكل أدب عربى فى الشام أو فى العراق أو المغرب تنصر قبل أن يظهر أدبه ، ولا غرابة فى هذا التعليق من لطفى بك جمعة فقد خبر مغزاه فى نواح شتى خبرة شخصية . ولعل أظهر تجاربه اشتراكه مع الأستاذ محمد كرد على (رئيس معارف سورية الآن ورئيس المجمع العلمى العربى فى دمشق) والأستاذ عبد القادر المغربى (أحد أعضاء المجمع المذكور) فى تحرير جريدة (الظاهر) منذ عشرين سنة خلت .

والذى فهمته من مقال الأستاذ البحراوى أنه يرمى به إلى أغراض ثلاثة : (١) تأريخ النهضة الأدبية المصرية تأريخا صحيحا وريدها إلى أصولها الحقة . (٢) العتب على المجاملين من كتابنا المصريين أمثال أستاذنا عبد الحميد أفندى سالم (رضى الله عنه) الذين يحلو لهم انتقاص الأدب المصرى وتقديم الأدب السورى عليه فى غير حق بدافع الصداقات الشخصية ونحوها . (٣) حث النابغين من الأدباء السوريين على الاعتراف من الأدب الانجلوسكسونى بدل التهالك على الأدب الفرنسى الحديث الذى كاد يفسد عليهم نهضتهم الأدبية .

(١) فأما عن غرضه الأول فلا مشاحة فى أن النهضة الأدبية للمصرية هى التى ألهمت سواها من النهضات فى الاقطار العربية الأخرى منذ عهد محمد على

وكانت وما زالت مصر (خصوصاً من عهد اسماعيل) مبعث الإحياء وسر النهضة
ومركز الزعامة الفكرية للعالم العربي . ولكن امتياز السوريين من بين
الأمم العربية بالنشاط التجارى وبظراتهم المادية الى كل شىء يتناولونه . وعرف عن
المصريين كرم الوفاء والايتار بدل الأثرة . وهكذا شجعوا الغرباء كعادتهم وتخلوا
غالباً عن أبناء جلدتهم حيناً عم منارة التعليم لاولئك الغرباء ، وهكذا انعكست الآية
وأصبحنا نحفل بأدب الاجانب وتنسى حتى فضل اساتذتهم من رجالنا نحن !! وقد
اشتهرت مصر بالأعلام من رجال اللغة والنقد والأدب والتاريخ . والشعر والنثر من
قديم الزمان حتى فى عهود الجهالة المظلمة . ولكنهم غرباء فى بلادهم يتهافت على علمهم
وأدبهم الاجانب وينهون بهم ايما تنويه حينما نجازيهم نحن بالتسلى أو النسيان ، وأحياناً
بالاصغار من فضلهم . بجارة للدعاة من الغرباء الذين يطيب لهم أن يسيطروا علينا
أدياً . كما حاولوا أن يسيطروا علينا اقتصادياً وسياسياً . . . والا فأتين من يذكر الآثار
الجليلة لأمثال ابراهيم النبروى وأحمد حسن الرشيدى ومحمد على باشا البقلى ومحمد بك
الشافعى ومحمد عبد الفتاح وعلى بك هيبه وحسن بك عبد الرحمن واحمد بك . ندى
وحسين بك عوف الكحال وسالم باشا سالم ومحمد باشا الندرى ومحمد بك بدر وحسن
باشا محمد ومحمد عمران الهراوى ومصطفى حسن كساب و ابراهيم النسوق ومحمد يوى
وابراهيم رمضان ومحمود باشا الفلكى وشفيق بك منصور يكن وعطار باشا المصرى
واسماعيل باشا الفلكى والسيد صالح مجدى بك وعيسى باشا حدى وعثمان باشا غالب
واسماعيل باشا حنين والسيد اسماعيل الخشاب المصرى والسيد محمد المهدي . المصرى
والسيد على الدرويش المصرى والشيخ شهاب الدين المصرى و ابراهيم بك - مرزوق
المصرى وعلى ابو النصر المنفلوطى ومحمود صفوت الساعاتى وعبد الله باشا فكرى والشيخ
على اللبى وعبد الله تديم وعثمان بك جلال ومحمود باشا سامى البارودى ومصطفى بك
نجيب واسماعيل باشا صبرى والشيخ محمد النسوق والياس بقطر وعائشة تيمور والشيخ
حسن العطار وابو الوفاء نصر الهورى المصرى وعبد الحادى نجما الاييارى وأمينه
نجيبو ملك ناصف والشيخ حسين المرسفى ومحمد بك التجارى المصرى واحمد باشا كمال
والشيخ عبد الله ابو السعود و ابراهيم بك المولى بلى والشيخ حمزة فتح الله والشيخ عبد الله
الشرقاوى وعلى باشا مبارك وأمين باشا فكرى ورفاعة بك الطهطاوى و ابراهيم الباجورى

وقد رى بشا ومحمد العباسى المهدى وعمر بك لطفى وعشرات غيرهم من الاساتذة الاعلام فى جميع فنون اللغة والأدب — أولئك الذين طالموا كانوا سراجا وهاجا للفسكرين التابعين لهم فى الأمم العربية الاخرى ، فاذا بنا ننسى مصدر النور ونحفل بالمرأى وحدهما ، وإذا بنا نجارى الغرباء الذين يعكسون الحقائق خدمة لصواهم الذاتية !! . ولكن منذ أن انتبه نوابغنا الى واجب الاقدام التجارى ولم يقتصروا على جانب البرغ الفكرى والاتاج الادبى القوى قط سارت مصر خطوات واسعة الى الامام بفضل غير أبنائها وأصبحوا قاذبها المطلقين بغير أدنى معونة خارجية . ويحق لمصر الآن على الأخص أن تفخر بصخافتها المصرية الصميعة التى هى القدوة العالية لغيرها ، كالسياسة ، و ، البلاغ ، والعصور ، وسواها . ولا يفوتنى أن أشير فى هذا المقام الى أن الصحف السورية أصبحت تنمذ فى حياتها على أقلام نوابغ المصريين قبل غيرهم . وحسبك منزلة الاستاذ سلامه موسى فى دار الهلال ، كما لا يفوتنى أن أشير الى تقدير الصحف الاجنبية وتقدير المستشرقين الى المجهود المصرى العظيم فى الطب والأدب والفنون والصحافة : وآخر ما بين يدي من كتابة وتقدير من هذا القليل ما نشرته صحيفة (الايجيبيان ميل) الانجليزية بعددها المؤرخ ٢٨ مارس سنة ١٩٢٩ من تقدير يبلغ لمجلة « العصور » بقلم المستشرق البرنانى المعروف الاستاذ سقراط سيرويك .

(٢) وأما عن الغرض الثانى من مقالة الاستاذ الجراوى وهو التسب على أولئك الجمالين الذين لا يزنون أقوالهم فيرسلون أحكامهم جزافا بجمالة للأدب السورى أو لغيره ، (وهم بذلك يسيئون اسامة مزدوجة الى من يتملقونهم أو يجمالونهم وإلى أبناء وطنهم معاً) : فهو غرض نبيل لأن الاحكام الادبية يجب أن تكون برتبة من الهوى ومن العصية ، فبالك بها اذا أفدها الغرض وتعددت نتائجها السيئة ! وما من شك فى أن لمصر الآن القيادة فى العلوم والآداب والفنون بين أمم العالم العربى جمعاء وانا الآن فى عهد ريناسنس أو بعث فكرى عجيب كما يقول الاستاذ اسماعيل بك مظهر ، فمن الحق علينا لا أنفسنا ولغيرنا أن نعرف مكانتنا بالضبط وأن نحدد نفوذنا ، وبذلك لا نعوقنا الاوهام والنعائيات عن التقدم المستمر الذى نخدم من ورائه العالم العربى بأسره كما نخدم الثقافة المصرية وهيات أن نجد أديبا سوريا ممتازا إلا وقد تمصر فى الغالب كسليمان البستاني ونجيب الحداد و خليل مطران وإيليا أبى ماضى وغيرهم ، ولولا أن أبا ماضى قد تأثر بالبيئة المصرية زمانا لما صفت ديباجته على ما نرى ولما سلسلت تعابيرها ،

بخلاف كثيرين غيره من الشعراء السوريين المتفككة تعابيرهم حتى لا تدري أنصفها بالاسترخاء كما قال الأستاذ البحراوى : أم تصفها بالجوهر على ما أرى ومن طبيعة الحياة المصرية كيف كانت (ومنها الحياة الأدبية) منذ أقدم أزمنة التاريخ أنها تهضم غيرها، ولا تهضم في سواها بمعنى فقدان شخصيتها ، وأنها في الوقت ذاته تشع على الحيات الأخرى فتأثر هذه بها تأثراً عميقاً ، فكانت مصر أم الحضارة الإنسانية خلقتها الطبيعة خلقاً يجعلها دائماً ملتقى الأشعة ثم مصدر القوة المنبهة لغيرها الباعثة الحياة في كل ما جاورها .

(٣) وأما الغرض الثالث من مقال الأستاذ البحراوى فلا يقل نبلا عن سابقه ولا غرابة في اهتمام الأستاذ البحراوى به ، فالأدب السوري - كالأدب المصرى - والأدب العراقي - قسم من الأدب العربى العام وتبهما جميعاً نهضة الرشيدة . وللاستاذ البحراوى كثيرون من الأصدقاء المعجبين بأدبه وإخلاصه من بين السوريين الذين يفهمون أن صديق الإنسان من اخلص له النصيح لامن جواره نصديقاً . ولديه أقوى معزز على ماذهب اليه في أدب أبى ماضى المتأثر بالنزق المصرى وبالأدب الانجلىوسكونى ، وهذا جاء إلتاحه الشعرى أنضح وأصلح ما عرف عن الأدب السورى فى هذا العصر ، ولاستثنى إلا خليل بك مطران ، وهو أيضاً متأثر بالأدب الانجلىوسكونى وإن كان قد تأثر زمننا بالأدب اللاتينى . ومعاذ الله أن يقول أى انسان مطلع له مسكة من العقل إن الأدب الفرنسى مثلاً لا قيمة له . ولكن لاشك فى أنه الآن أحط مستوى من الأدب الانجليزى أو الأمريكى ، فلامنى لجاراته بدل الالتفات إلى الغرب القيسى الذى بلغ فيه الأدب الحى رجولته ونضوجه الأتم . فدعوة الأستاذ البحراوى إلى أصدقائه السوريين النابغين لاأخذ بيدأدبهم القومى فى هذه الصراحة الجريئة مما نسجله له بالشكر والاعجاب ، وبما نعتبره دليلاً حتماً على ولائه وعلى فهمه معنى الاخاء الأدبى فهما صحيحا لا يشوبه الرياء المألوف والمجاملات الفارغة . ومثل هذا الشكر جديرة به بمجلة (العصور) الغراء لافساحها صدرها للنقد الحر المفيد ؟